علاقة النحو العربي بالنحو السرياني

The relationship between Arabic and Syriac grammar

عبد المنعم عبد الله خلف حميد الدليمي جامعة تلعفر-- العراق

بريد المرسل abdmo469@yahoo.com

تاريخ الارسال2019/09/06 . القبول 2019/10/24

E . ISSN : 506-2602X-ISSN : 2335 - 1969

صفحات البحث من : 48 إلى 60

الملخص

خلاصة ما في بحثي هو بعد أن رأيت تعالي أصوات حو تأثر النحو العربي بالنحو اليوناني عن طريق السريان، وهناك من نادى بتأثر النحو العربي بالنحو السرياني، وهناك من ينفي آراء التأثر ... فهذه الآراء دفعتني للتحري عن هذا التأثر والكشف عن مصداقيته بغض النظر عن أصالة النحو العربي التي لا يخفى على أحد أمرها ... لذا لجأت الى اختيار هذا العنوان لأنطلق منه في عدة محاور تكون خطة للموضوع، فتشكلت الدراسة من هذه المحاور والتي هي:

المحور الأول: تأثر النحو السرياني بالنحو العربي.

المحور الثاني: تأثر النحو العربي بالنحو اليوناني عن طريق السريان.

المحور الثالث: تأثر النحو العربي بالنحو السرياني.

المحور الرابع: آراء نفي التأثر.

الكلمات المفتاحية: القرآن. السريان. النحوالعربي .اليونان.

Abstract

A summary of what the research is marked (the relationship between Arabic and Syriac grammar) the views had conflicted about this science its impact and influenced by the Syriac, Greek and Indian grammar... etc. These views led me to investigate this impact, So I began the search with four axes, The first axis titled: the Syrian affect by the Arabic grammar, the second theme entitled: The Arabic grammar influenced by the Greek grammar by the Syriacs, then the third axis titled: The Arabic grammar influenced by, while the f the Syriac grammar, the fourth axis dealt with: the views of the exiled impact. The most important results of the work is that the Arabic grammar had affected the Syriac one. The Arabic grammar has its originality that cannot be questioned as the service of the wholly Quran.

Key Wirds : Quran . Syriac. Originality. Arabic grammar.. Greec

علاقة النحو العربي بالنحو السرياني:

ما يهمنا من هذا البحث هو بيان هذه العلاقة عن طريق معرفة تأثير وتأثر النحو العربي بالنحو السرياني وقد يكون النحو اليوناني أيضا سبيلا نهتدي به لمعرفة هل هناك تداخل بين علماء النحو السرياني وعلماء النحو العربي؟، ولمعرفة ذلك لا بد من معرفة مضامين المحاور الآتية ...

المحور الأول: تأثر النحو السرياني بالنحو العربي:

أهم ما يطالعنا في هذا المحور هو رأي أحمد مختار عمر الذي صرح بأن النحو السرياني ألف على نمط النحو العربي، بوصف أن النحو السرياني أقرب إلى النحو العربي من النحو اليوناني، فقد بين بأن السريان اتصلوا بالعرب عندما دخل العرب بلادهم فاتحين، وقد عدت اللغة العربية على لغتهم فأثر ذلك على أهل السريان لذا وضعوا نحوهم على نمط النحو العربي، لأنه أقرب إلى لغتهم من النحو اليوناني، وقد كان النحاة السريان في القرن الثاني عشر وما بعده يعكسون مناهج المدارس العربية الشهيرة في البصرة والكوفة، الأمر الذي أدى إلى وضع ابن العبري "ولد 1226 م وتوفي 1286 م" كتابًا كبيرًا في النحو سماه "كتاب الأشعة" على غرار كتاب "المفصل" للزمخشري " توفي عام 538 هـ = 1143 م"، ويلاحظ أن ابن العبري في كتابه كان يتبع تقسيمات النحاة العرب [1]، وهذا يدل على أن السريان وإن كان لهم نحو قبل العرب فقد يدل على أنه لم يكن مختصا بالنحو فقط بل كان في مجال الفلسفة كما كان عند اليونان بوصفه مجالا من مجالات الحكمة، وإذا أتينا إلى تقسيماتهم النحوية فقد نجد أن الفلسفة ينقسم فيها الكلام إلى "اسم وكلمة ورباط" وهذه الكلمات ترجمت من اليوناني إلى السرياني [2]، أما في النحو العربي فالكلام كما شرحه ابن عقيل على ألفية ابن مالك فلا يكون كهذا التقسيم اليوناني السرياني قال: " لا يتركب الكلام إلا من اسمين، نحو "زيد قائم"، أو من فعل واسم كـ " قام زيد" ... والكلم: اسم جنس واحده كلمة، وهي إما اسم، وإما فعل، وإما حرف ... (وهو) ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر ... والكلمة: هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد ..." [3]...

وبعد تأسيس النحو العربي وتشييد بنيانه بتقسيماته وتفرعاته الكثيرة وضع السريان نحوهم الصريح المفصل لقضايا لغتهم متأثرين بالنحو العربي هذا على رأي أحمد مختار عمر السابق ... وما يؤكد رأيه هو أن لغة العرب يروى بأنها كانت تدرس قبل وضع أبي الأسود النحو في مدارس الحيرة وعين التمر والأنبار، حتى جمعت الروايات بأن علم العربية كان معروفًا في العراق حق المعرفة، وأنه كان يدرس في مدارس الحيرة وعين التمر والأنبار ... وكان غالبية سكانها من العرب النصارى...[4]، فضلا عن ذلك فقد كان العرب في هذه الآونة، يتكلمون العربية الصحيحة

بالسليقة على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم، وقد كانوا قليلي الاتصال بمن حولهم من الأعاجم، فكان بين الفرس وعرب الجزيرة، والروم وعرب الشام شيء من الاتصال، يدخل بعض هؤلاء الجزيرة العربية، ويتعلمون اللغة، وينطقونها تقليدًا لهم [5]...

فمن الممكن أن يكون السريان قد تأثروا بالنحو العربي؛ نظرا لحاجتهم الملحة إلى العربية من أجل التعايش وتبادل الثقافات والتجارة وما إلى ذلك من روابط تربطهم بالعربية.

المحور الثاني: تأثر النحو العربي بالنحو اليوناني عن طريق السريان

هناك من بين بأن السريان قاموا بترجمة أقسام الكلام في الفلسفة اليوناني ونقلوها إلى العربية والتي هي قريبة من أقسام الكلام في العربية، فقيل: " أما الفلسفة فينقسم فيها الكلام إلى "اسم وكلمة ورباط" وهذه الكلمات ترجمت من اليوناني إلى السرياني ومن السرياني إلى العربي فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو، أما كلمات "اسم وفعل وحرف" فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت"" [6]، وهذا الرأي يعني أن السريان كانوا أصحاب ترجمة وقد سبقوا العرب بها فضلا عن كونهم نحاة؛ غير أن العرب لم يتأثروا بهم.

لذلك فمن المعلوم أن اليونان كان لهم نحو قبل العرب، وأن العرب عندما أرادوا وضع النحو للحفاظ على لغتهم قيل تأثروا بالنحو اليوناني وكان للسريان اتصال وثيق بين العرب واليونان بالجانب الثقافي وقد وزعم بعض المستشرقين: أن علم النحو منقول من لغة اليونان؛ لأن وضعه في العراق إنما كان قد تم بعد اختلاط العرب بالسريان وتعلم ثقافتهم، وكان للسريان نحو قديم ورثوه عن اليونان [7].

وهناك من يحيل النظر في هذا التأثر إلى التفكير العقلي إذ نجد من لا يتصور وجود إنسان يستطيع أن يجلس لوحده بمفرده ثم يجيل النظر في محيط اللغة التي تكلَّم بها قومه، وهو غير ملم بعلم سابق باللغات ولا بمعرفة مسبقة بقواعدها، ثم تأتيه المعرفة ويستخرج منها بنفسه القواعد والقوانين، ثم يضع لأبوابها تلك الأسماء التي لا يمكن لأحد وضعها إلا إذا كان ذا علم بقواعد اللغات عند جميع الأمم الأخرى؛ لأنها مصطلحات علمية منطقية، لا يمكن أن تخرج من فم رجل لا علم له بأغلب مصطلحات علوم اللغة والمنطق، فضلا عن كونها ليست من الألفاظ الاصطلاحية البسيطة التي يمكن أن يستخرجها الإنسان من اللغة بكل سهولة وبساطة حتى نقول إنها حاصل ذكاء وعقل متقد ونير، فكيف يعقل أن يتوصل رجل إلى استنباط أن الكلمة إما اسم، أو فعل، أو حرف؟، ثم كيف يتوصل إلى إدراك القواعد المعقدة الأخرى؟، إذا لم يكن لذلك الرجل علم بفلسفة الفعل وعمل الفاعل وما يقع منه الفعل على المفعول... وقد كان للبابليين ولغيرهم من

أهل العراق علم باللغات، وكان لهم أساس في النحو وفي دراسة اللغة، كما كان لليونان ولغيرهم علم بالمنطق والنحو واللغات، وقد صل هذا العلم إلى العراقيين قبل النصرانية وبعدها... وبقي هذا العلم العراقي اليوناني إلى الإسلام، حتى زعم أن علم النحو وعلوم العربية جاءت منه ومتأثرة به، وبسببه صار العراق القطر الإسلامي الأول الذي نبت فيه علم العربيات والنحو[8]...

أما نظرتنا على هذا الرأي فأقول أن اليونان والسريان على حد سواء لم يثبت عنهم في قديم الزمان بأنهم علموا العرب لغتهم وإنما المعروف هو أن اليونان والسريان تعلموا لغة العرب ؛ لأن القبائل العربية التي أسس عليها النحو وأخذ بها وقيس عليها هم من أكلة الشوارز الذين لم يختلطوا بأحد من الأعاجم[9]، كما " حدثنا أبو بكر بن دريد قال: رأيت رجلاً في الوراقين بالبصرة يفضل كتاب المنطق ليعقوب بن السكيت ويقدم الكوفيين فقيل للرياشي وكان قاعداً في الوراقين قال فقال: إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشوارز أو كلام يشبه هذا. "[10].

المحور الثالث: تأثر النحو العربي بالنحو السريان:

يمكن إجمال آراء هذا المحور بما يلي:

1. وجود مدارس عند السريان كانت تدرس بها علوم النحو لا سيما عند ظهور الإسلام حتى قيل إن " تقسيم الكلم المألوف المتبع في النحو، هو تقسيم يوناني، واعتبار القياس أصلا من أصول النحو، ووجود مدارس سريانية كانت تدرس علوم النحو في مدارسها عند ظهور الإسلام، ووجود يونان وأديرة في العراق، فهذه الأسباب وأشباهها تحمل الإنسان على القول إن النحو العربي قد تأثر بالنحو اليوناني وبمنطق أرسطو خاصة. "[11]
2. وجود علماء للنحو السرياني قاموا بنقل ثقافاتهم إلى العربية أمثال يعقوب الرهاوي وحنين بن إسحاق الذي زعم أنه رافق الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهذا الرأي باطل؛ لأن ولادة هذا الرجل أتت بعد وفاة الخليل، فحنين هو أَبُو زيد العِباديّ النَّصْرانيّ الشَّقِيّ، فضلا عن كونه شيخ الطب بالعراق فِي زمانه، وكَانَ بصيرًا باللغة اليونانية فعرّب كُتُبًا عديدة فِي الطبيعيّات والرياضيات، وكان المأمون معجبا بها وذا غرام بتعريبها ومعرفتها، ولُحنْين مصنَّفات مشهورة فِي الطبّ والمسائل وغيرها، وكان ذا ثروة ورَفاهية وتنعُّم، وكان له أموال وغلمان، طبَّ غيرَ واحدٍ مِنَ الخلفاء، وتوفي فِي سنة ستّين ومائتين (260 هـ)[12]، فلو نظرنا إلى وفاة حنين بن إسحاق لوجدناه ظهر إلى الدنيا بعد وفاة الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي توفي سنة (175 هـ)، فكيف بأبي الأسود الذي توفي سنة (69هـ)؟، وهذا رد على الزعم الذي قيل: " وقد تأثر خاصة في عهد " الخليل بن أحمد" الذي

كانت له صلات وثيقة مع العلماء السريان، مثل حنين بن إسحاق وأضرابه، حتى ذهب بعض الباحثين إلى وقوف الخليل على اللغة اليونانية. وقد ذهب "مصطفى نظيف" إلى أن يعقوب الرهاوي، كان من معاصري أبي الأسود الدؤلي، وكان من تلامذة سويرس سيبخت، ومن البارعين في الفلسفة والنحو والتأريخ ومن المؤلفين في النحو السُّرياني، ومن الذين أدخلوا التنقيط والحركات. وكان في البصرة، والبصرة ملتقى الثقافة، وحولها أديرة ومدارس، وهي غير بعيدة عن "جندبابور"..." [13]، فضلا عن ذلك أن الخليل بن أحمد وإن تعلم اللغة اليونانية أو السريانية أو غيرها من اللغات فهو قد جاء مكملا لمسيرة من قبله من علماء العربية فالنحو والاهتمام بالعربية من قبل أبنائها جاء قبل الخليل بقرن ...

أما يعقوب الرهاوي الذي زعم أنه من معاصري أبي الأسود فهذا الرجل قد يرد التشكيك في ولادته ووفاته:

3. فمن ناحية بين جواد علي (ت 1403هـ) بأن "مصطفى نظيف" قد ذهب إلى أن يعقوب الرهاوي، كان من معاصري أبي الأسود الدؤلي، وكان من تلامذة سويرس سيبخت، ومن البارعين في الفلسفة والنحو والتأريخ، ومن المؤلفين في النحو السُّرياني، ومن الذين أدخلوا التنقيط والحركات إلى العربية، وكان في البصرة، والبصرة ملتقى الثقافة، وحولها أديرة ومدارس، وهي غير بعيدة عن "جندبابور"، فلا يستبعد إذن تأثر أبي الأسود بهذه التيارات اليونانية التي كانت هناك [14]، وأيده على ذلك أحمد مختار عمر، الذي بين بأن في القرن السابع ظهر نحاة سريان كثر وينسب إلى بعضهم ابتداع نقط الإعجام في السريانية واختراع الحركات، ويعد يعقوب الرهاوي الذي ولد حوالي عام 640م "19 هـ" وتوفي عام 708م "90 هـ" هو أول من وضع نحوًا شاملًا، وقواعد للغة السريانية مبنية على النحو اليوناني، وقد عثر على قطع من هذا الكتاب فيها حديث عن الصوائت "الحركات" وقد استعارها من اليونانية ووضعها أولًا بين الحروف، ثم قام بوضعها فوق الحرف بعد ذلك أو تحته في المكان الذي يوجد به فراغ، وهناك طريقة ثالثة أقدم من هاتين، وهي وضع نقطة أو نقطتين، بطريقة رأسية أو أفقية أو مائلة، فوق الحرف أو تحته، ليوضح شكل حركة من الحركات، وخلال القرنين الثامن والتاسع ظهرت بعض مصنفات في نحو السريانية، وكان أشهر المؤلفين فيه أبو زيد حنين ابن إسحاق المتوفي سنة 873 [15].

4. ومن ناحية أخرى بين الأبياري (ت 1414هـ) بأن «السريان» هم أول من ابتدأ بوضع الشكل على الكلمات، وذلك عندما دخلوا النصرانية وأخذوا في نقل الكتاب المقدس إلى لغتهم، وقد كان الأسقف «يعقوب الرهاوى» أول من اخترع النقط التي كانت ترسم في حشو الحروف، وكان ذلك سنة 460 م، أي قبل الهجرة بنحو من 121 سنة، ثم تحولت تلك النّقط إلى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث، وحين انتشر الإسلام، وعمّ بقاعا مختلفة من الأرض، وخاف المسلمون

ما خافه، (السريان) من قبل، فكر العرب المسلمون في النقط أو الشكل، ولعلهم استأنسوا في ذلك بما فعله (السريان) من قبل، وكان أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي (ت69 هـ) في خلافة عبد الله بن الزبير [16].

فهذا يدل على أن رأي مصطفى نظيف كما أورده جواد علي من أن يعقوب الرهاوي كان من معاصري أبي الأسود (ت69 هـ) رده الأبياري بأن يعقوب الرهاوي كان قد اخترع النقط قبل الهجرة بحوالي (121) سنة، على عكس ما صرح به أحمد مختار عمر الذي عد وفاة يعقوب الرهاوي سنة (90) هجرية وإن كان رأي أحمد مختار عمر صائبا فإن أبا الأسود كان قد سبق يعقوب الرهاوي إذ أن أبا الأسود توفي (69) هجرية أي قبل يعقوب الرهاوي وكان أبو أسود قد وضع قواعد النحو وأقسام الكلام في ربوع حياته؛ لأنه كان يذهب إلى الولاة والصحابة كـ (علي بن أبي طالب _ رضي الله عنه_، وزياد بن أبيه ... وغيرهما) للتحري والاستشارة في وضع قواعد للعربية تصون اللسان من الخطأ بعد انتشار اللحن في العربية، وهذا بعيد من أن يكون أبو الأسود أو الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهما من أسسا النحو العربي أن يكونا قد تأثرا بيعقوب الرهاوي ...

المحور الرابع: آراء نفي التأثر:

هناك الكثير من الآراء التي نادت بنفي تأثر النحو العربي باللغات الأخرى إذ يمكن عرض ما يخدم بحثنا منها... بداية أقول لو كان الأمر بالتأثر كما ذكرنا في الآراء السابقة فما دليل ابن سلام على أن أبا الْأسود الدؤلي كَانَ أول من أسس الْعَرَبيَّة وَفتح بَابهَا وأنهج سَبِيلهَا وَوضع قياسها [17]؟، نعم هناك من لا يستبعد احتمال وقوف علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، أو أبي الأسود الدؤلي على تقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف على ما كان يدرس بالحيرة أو بعلماء من أهل العراق كانوا على علم النحو وعلوم اللغة ، وأخذ المسلمون علم العربية عن المتقدمين، حتى تضخم النحو فبرز على الصورة التي نجدها في "كتاب" سيبويه[18]، إلا أن ما يفسد نظرتنا هو أن من يحاولوا التشكيك هم من المستشرقين، وقد بين أحمد شوقي بأن بعض المستشرقين حاولوا أن يصلوا بين نشوء النحو في البصرة والنحو السرياني واليوناني والهندي, غير أنه لا يمكن إثبات شيء من ذلك الأمر إثباتا علميا وخاصة أن النحو العربي يدور على نظرية العامل وهي لا توجد في أي نحو أجنبي، وكل ما يمكن زعمه هو أنه ربما عرف نحاة البصرة الأولون أن لبعض اللغات الأجنبية نحوا، فحاولوا أن يضعوا نحوا للعربية راجعين في ذلك إلى ملكاتهم العقلية التي كانت قد رقيت رقيا بعيدا بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبية في اللغة ، وخاصة الفلسفة اليونانية وما

يتصل بها من المنطق، مما دعم عقولهم دعما قويا، وجعلها مستعدة؛ لأن تستنبط قواعد النحو وعلله وأقيسته[19]...

وبهذا نصبح على دراية فنجد أن النحو العربي كل ظلاله مهيمنة على كل القواعد إلى أقصى حد، بحيث يصبح ما يخرج عليها شاذا، وبحيث تفتح الأبواب على مصاريعها ليقاس على القاعدة ما لم يسمع عن العرب ويحمل عليها حملا، فهي المعيار المحكم السديد، وعلى هذه الشاكلة شادت البصرة صرح النحو ورفعت أركانه، بينما كانت الكوفة مشغولة عن ذلك كله، بقراءات الذكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار، على الأقل حتى منتصف القرن الثاني للهجرة [20]

وقد صرح الكثير من الأوروبيين أنفسهم وبكثرة على أن النحو العربي عربي خالص، من ذلك بين ليتمان بأن الأوروبيين اختلفوا في أصل هذا العلم، فمنهم من قال إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب، وقال آخرون ليس كذلك، وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب، وهذا هو الذي روي في كتب العرب من زمن، ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا، وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء، فلا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، ولكن عندما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا أيضا شيئا من النحو، ودليل ذلك أن تقسيم الكلمة مختلف فيه، قال سيبويه: فالكلم: "اسم وفعل وحرف جاء لمعنى"، وهذا تقسيم أصلي، أما الفلسفة فينقسم فيها الكلام إلى "اسم وكلمة ورباط" وهذه الكلمات ترجمت من اليوناني إلى السرياني ومن السرياني إلى العربي فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو، أما كلمات "اسم وفعل وحرف" فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت [21]، وهذا يدل على أن السريان كان لديهم الفلسفة التي تعلموها عن اليونان .

فالعلماء عندما أرادوا وضع القواعد لم يقبلوا بالأخذ عن الأماكن التي يقطن بها اليونان أو السريان وغيرهم ممن ليسوا من العرب بل ربطوا المكان بفكرة البداوة والحضارة ممن لم يختلط بالأعاجم، فكلما كانت القبيلة بدوية أو أقرب إلى حياة البداوة كانت لغتها أفصح، والثقة فيها أكثر، وكلما كانت متحضرة، أو أقرب إلى حياة الحضارة كانت لغتها محل شك ومثار شبهة، ولذلك تجنبوا الأخذ عنها، وفكرتهم في ذلك كله أن الانعزال في كبد الصحراء، وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يحفظ للغة نقاوتها ويصونها عن أي مؤثر خارجي، وأن الاختلاط يفسد اللغة وينحرف بالألسنة [22].

وأول من روى لنا قائمة محددة بالقبائل التي يستشهد بها والتي لا يستشهد بها هو الفارابي في كتابه "الألفاظ والحروف" ، فقد بين السيوطي بأن أبا نصر الفارابي في أول كتابه المسمى

(بالألفاظ والحروف)، قد بين بأن قريشاً كانت أجودَ العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النُّطْق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانَة عما في النفس وعنهم نُقِلت اللغة العربية وبهم اقْتُدِي وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربيٌّ من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كِنانة وبعض الطائيين فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخِذ ومعظمه وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتَّصْريف ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبذلك فإنه لم يؤخذ عن حضَريٍّ قط ولا عن سكَّان البَرَاري ممن كان يسكنُ أطرافَ بلادِهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا مِنْ لَخْم ولا من جذَام لِمُجاوَرتهم أهل مصر والقِبْط ولم يؤخذ من قُضاعة وغَسَّان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولم يؤخذ من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولم يؤخذ أيضا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس وكذلك لم يؤخذ من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مُخالطين للهِند والفُرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة كانوا قد صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغةَ العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت أَلسِنتهم والذي نقل اللغةَ واللسانَ العربيَّ عن هؤلاء وأَثْبَتها في كتاب فصيَّرها عِلْماً وصناعة هم أهلُ البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب [23]، وأيده ابن خلدون على ذلك كله وأكد عليه، في أن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن هم في معناهم وذلك لما اختصّوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء الأماكن عندهم حملتهم عليها الضّرورة الّتي جلبت لهم تلك القسمة، ولمّا كان معاشهم يتحتم عليهم القيام على الإبل ونتاجها ورعايتها وكانت الإبل تدعوهم إلى التّوحّش في القفر لرعيها من شجره ونتاجها في رماله ، فضلا عن كون القفر مكانا للشّظف والسّغب فقد صار لهم إلفا وعادة وربيت فيه أجيالهم حتّى تمكّنت خلقا وجبلّة فلا ينزع إليهم أحد من الأمم أن يساهمهم في حالهم ولا يأنس بهم أحد من الأجيال بل لو وجد واحد منهم السّبيل إلى الفرار من حاله وأمكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة لمّا كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا من أرياف الشّام والعراق ، كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيها شوب؟. وأمّا العرب الّذين كانوا بالتّلال وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لخم وجذام وغسّان وطيّ وقضاعة وإياد فاختلطت أنسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كلّ واحد من بيوتهم من الخلاف عند النّاس ما تعرف وإنّما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النّسب في بيوتهم وشعوبهم وإنّما هذا للعرب فقط، فإذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا هذا أي ما لحق هؤلاء العرب أهل

الأرياف من الازدحام مع النّاس على البلد الطّيّب والمراعي الخصيبة فكثر الاختلاط وتداخلت الأنساب وقد كان وقع في صدر الإسلام الانتماء إلى المواطن فيقال جند قنّسرين جند دمشق جند العواصم وانتقل ذلك إلى الأندلس ولم يكن لاطّراح العرب أمر النّسب وإنّما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتّى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النّسب يتميّزون بها عند أمرائهم ثمّ وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم [24]...

فعلى ذلك نجد لقريش الميدان الخاص في تكوين ونشأة النحو العربي إذ " كانت العربُ تحضر المَوسِم في كل عام وتحجُّ البيتَ في الجاهلية وقريشٌ يسمعون لغاتِ العرب فما اسْتحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصحَ العرب وخلَتْ لغتُهم من مُستبْشع اللغات ومُستقبَح الألفاظ من ذلك: الكَشْكَشة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شِيناً فيقولون: رَأَيْتُكش وبكَش وعَلَيْكَش فمنهم من يُثبتُها" [25].

كما أننا إذا فرضنا أننا أيدنا من يقول إن النحو العربي تأثر بالنحو السرياني واليوناني وغيرهما، لقلنا: لماذا أسس النحو العربي؟، ألم يكن للمحافظة على اللغة العربية التي نزل بها القرآن؟، وهذه الروايات التي أتت عن أصدق الناس التي دلت على أن سبب وضع النحو هو تنقية للغة العربية من مخالطة الحمراء (الأعاجم)، إذ قيل " سبب وضع علي (رضي الله عنه) لهذا العلم، ما روى أبو الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء – يعني الأعاجم– فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه، ويعتمدون عليه؛ ثم ألقى إليّ الرقعة، وفيها مكتوب: "الكلام كله اسم، وفعل، وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما جاء لمعنى"، وقال لي: "انحُ هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبو الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، واسمٌ لا ظاهر ولا مضمر؛ وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهرٍ ولا مضمر" وأراد بذلك الاسم المبهم. قال أبو الأسود: فكان ما وقع إليّ: "إن" وأخواتها ما خلا "لكن". فلما عرضتها على علي رضي الله عنه، قال لي: وأين لكنّ؟ فقال: ما حسبتها منها؛ فقال: هي منها فألحقها، ثم قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت! فلذلك سمي النحو نحواً." [26] وغيرها من الآراء.

فعلى كل تلك الأدلة التي ردت على أقوال تأثر النحو العربي باللغات الأخرى أقول: إن اللغة العربية ما أسست إلا للحفاظ على قراءة القرآن الكريم قراءة سليمة خالية من اللحن، ومع ذلك إن المؤسسين لها كانوا من المسلمين، المبشرين بدين الإسلام، وإن كان هناك اطلاع لعلماء العربية

على نحو اللغات الأخرى فهذا يدل على تلبيتهم لوصية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي أوصى بتعلم اللغات، ولكن لا يعني أنهم تأثروا.

الخاتمة

ففي حسن الختام لا يسعني إلا أن أبين ثمار القول من هذا العمل، ويمكن إجمال ذلك بما يأتي:

1. أن النحاة السريان لا سيما في القرن الثاني عشر وما بعده قد تأثروا بالمدارس العربية الشهيرة في البصرة والكوفة. كابن العبري الذي ألف في النحو "كتاب الأشعة" على غرار كتاب "المفصل" للزمخشري ".
2. اختصاص النحو السرياني بالفلسفة في حين لم يختص النحو العربي بها ...
3. أخذ السريان نحوهم عن اليونان، في حين أخذ العرب نحوهم عن القبائل العربية التي لم تخالط الأعاجم.
4. دخل علماء النحو السرياني كيعقوب الرهاوي (ت90 هـ) وحنين بن إسحاق (ت260 هـ)، إلى العربية بعد أن تم تأسيسها على يد أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) وغيره.
5. إصرار ابن سلام والكثير من علماء العربية على أن أبا الأسود هو أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها.

الإحالات

([1]) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: 357-359.
([2]) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، للشيخ الطنطاوي: 21-22.
([3]) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 1/ 14 -15.
([4]) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 17/ 49-51.
([5]) ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك: 1/ 8.
([6]) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، للشيخ الطنطاوي: 21-22.
([7]) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، للشيخ الطنطاوي: 21-22.
([8]) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 17/ 48-60.
([9]) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب: 248.
([10]) أخبار النحويين البصريين: 69.
([11]) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 17/ 48.
([12]) تاريخ الإسلام ت تدمري: 19/ 128، وينظر: تاريخ ابن الوردي: 1/ 228، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: 2/ 127.

([13]) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 17/ 48-49.

([14]) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام :17/ 48.

([15]) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: 66.

([16]) ينظر: الموسوعة القرآنية: 1/ 394.

([17]) ينظر: طبقات فحول الشعراء: 1/ 12، وتاريخ دمشق لابن عساكر: 25/ 195، وإنباه الرواة على أنباه النحاة :1/ 49.

([18]) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 17/ 48-60.

([19]) ينظر: المدارس النحوية: 20.

([20]) ينظر: المدارس النحوية: 20.

([21]) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، للشيخ الطنطاوي: 21-22.

([22]) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: 50-51.

([23]) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 1/ 167-168.

([24]) ينظر: تاريخ ابن خلدون: 1/ 161-162.

([25]) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 1/ 175.

([26]) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 18-19.

ثبت المصادر والمراجع

1. إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: 1414هـ)، الموسوعة القرآنية، (د. ط)، مؤسسة سجل العرب، 1405 هـ.
2. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، (د. ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ -1995م.
3. أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، 1417 هـ -1997م.
4. أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: 1426هـ)، المدارس النحوية، (د. ط. ت)، دار المعارف.
5. أحمد مختار عبد الحميد عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط8، عالم الكتب، 2003.

6. بهاءالدين عبد الله بن عقيل (ت 769 هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (ت 672هـ)، ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط. ت)، دار احياء التراث (بيروت – لبنان).
7. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط1، المكتبة العنصرية، بيروت، 1424 هـ.
8. جواد علي (المتوفى: 1408هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي، 1422هـ/ 2001م.
9. الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد (المتوفى: 368هـ)، أخبار النحويين البصريين، المحقق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي –المدرسين بالأزهر الشريف، (د. ط)، مصطفى البابي الحلبي، 1373 هـ –1966م.
10. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413 هـ –1993 م.
11. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية –بيروت، 1418هـ –1998م.
12. عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المحقق: إبراهيم السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الزرقاء –الأردن، 1405 هـ –1985م.
13. عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ –1988 م.
14. عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفى: 749هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية –لبنان / بيروت، 1417هـ –1996م.
15. محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: 232هـ)، طبقات فحول الشعراء، المحقق: محمود محمد شاكر، (د. ط. ت)، دار المدني –جدة.
16. محمد عبد العزيز النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ط1، مؤسسة الرسالة، 1422هـ –2001 م.

17. مصطفى حمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط2، دار المعارف – القاهرة، (د. ت).
18. ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (المتوفى: 610هـ)، المغرب في ترتيب المعرب، (د. ط. ت)، دار الكتاب العربي.